الاستغفار

أهميته، وحاجة العبد إليه

تأليف

شيخ الإسلام، ومفتي الأنام
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

اعتنى به

أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي

دار ابن حزم

الاستغفار

أهميته، وحاجة العبد إليه

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

الاستغفار

أهميته، وحاجة العبد إليه

تأليف

شيخ الإسلام، ومفتي الأنام
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
(٦٦١-٧٢٨هـ)

اعتنى به

أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي
عفا الله تعالى عنه

دار ابن حزم

المقـدّمـة

إنّ الحمـد لله، نحمـدُهُ ونَستعينـه ونستغفـره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

مَن يهده الله فلا مضلّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له.

أشهد أن لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريك له.

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد.

فهذه رسالة مهمة في بابها، عظيمة في ما تضمنته من معاني، سطرتها يراعة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فجاءت درّة مضيئة، حوت على أمّات المسائل التي يحتاج إليها المستغفر، مع بيان مسائل في الاستغفار غفل عنها كثير من المسلمين.

وهذه الرسالة موجودة ضمن مجموع الفتاوى المجلد الحادي عشر من ص ٦٧٠ إلى ص ٧٠٢.

وقد علقت عليها، وخرّجت آياتها وأحاديثها وآثارها، معَ بيان ترجمة لشيخ الإسلام موجزة، ومقدمة عن الاستغفار وأهميته وثمراته وفضائله.

أسأل الله القبول، والنفع، والإخلاص في القول والعمل.

وكتبه

أبو عبد الرحمن

فواز أحمد زمرلي

ليلة يوم الأحد الموافق في

١٨ جمادى الآخرة ١٤١٥ هجرية

طرابلس الشام

ترجمة موجزة لشيخ الإِسلام
ابن تيمية
رحمه الله تعالى

* وُلد شيخ الإِسلام في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ في حران، وتحوّل به أبوه من حران إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ عند استيلاء التتار على البلاد فنشأ فيها.

* كان أبوه وجده من كبار العلماء في هذه الحقبة.

* استطاع شيخ الإِسلام أن يلمّ بفنون الثقافة في عصره في وقت مبكر، وكان ذا حافظة خارقة، فهو يحفظ كلّ ما يقع تحت عينيه، وقد حدّثوا في ترجمته بالأعاجيب في ذلك.

* كان مضرب الأمثال في زهده وترفّعه عن شهوات الدنيا، وكان مترفّعاً عن الحقد، لا ينتقم لنفسه.

قال فيه ابن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية: حرّضنا عليه، فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

* أخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع من خلق كثيرين.

من تلاميذه الذين كانوا من بعد من أشهر رجال الإسلام: ابن قيم الجوزية، والحافظ ابن كثير، والإمام الذهبي وغيرهم.

* تناول شيخ الإسلام علوم عصره بالدراسة العميقة، ثم بالتأليف والرد على مخالفيه، ولقد ترك من المؤلفات ما يصل إلى خمسمائة مصنَّف.

ومن مؤلفاته: الفرقان بين أولياء الرحمن

وأولياء الشيطان، وجواب أهل العلم والإيمان، والجواب الصحيح، ودرء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية.. وغيرها.

* ولقد أثنى العلماء والأئمة على هذا الإمام، ولقَّبوه بشيخ الإسلام، وأفردوا مناقبه بالتصنيف، ولم ينتقص منه إلاَّ مَنْ جهل مقداره وخطره، ومَنْ جهل شيئاً أنكره.

ولقد أنصف العلامةُ بهاءُ الدين ابن السبكي حيث قال لبعض من ذكر له الكلام في ابن تيمية: **والله يا فلان، ما يبغض ابن تيمية إلاَّ جاهل أو صاحب هوى! فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدّه هواه عن الحق بعد معرفته له.**

* أدخل السجن آخر مرة في شعبان سنة ٧٢٦هـ، واعتقل بالقلعة، ومكث في السجن إلى أن توفّاه الله في ٢٦ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ.

وكانت جنازته عظيمة جداً، وأقلّ ما قيل في عدد مشيعيه: خمسون ألفاً.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن الدين خير ما جازى داعية حق عن دعوته.

• • •

الاستغفار

تعريفه ـ أهميته ومكانته في الإسلام
شروطه ـ ثمراته وفوائده

تعريف الاستغفار:

الاستغفار: طلب المغفرة. والمغفرة هي وقاية شرّ الذنب. والمغفرة شيء زائد على الستر، لأنّ المغفرة معناها وقاية شر الذنب، بحيث لا يعاقب عليه العبد، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب[١].

أهميته ومكانته:

إنّ للاستغفار أهمية عظمى في الإسلام، فلقد كثرت الآيات في القرآن الكريم التي تتكلم عن المغفرة والاستغفار، أمراً وطلباً، ومدحاً.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٣١٧، وانظر لسان العرب ٥/٢٥.

ولقد أمر الله نبيّه محمداً ﷺ به فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٦].

وأمر الله المؤمنين به فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

إلى غير ذلك من الآيات.

وكثرت الأحاديث الصحيحة التي تبيّن فضيلة الاستغفار، وثوابه عند الله وحاجة العبد إليه.

فقد قال ﷺ: «إنه لَيُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»(١).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٥)، وأحمد في المسند ٤/ ٢١١ ــ ٢٢٦ ــ ٤١٠ وغيرهم.

ـ تعالى ـ فيغفر لهم»[1].

شروط الاستغفار:

للاستغفار شروط لا بد من توفّرها حتى تتحقّق المغفرة، ومن هذه الشروط:

١ ـ إخلاص القلب لله، وحضوره مع الكلمات: فإنّ الإخلاص أساس قبول كلّ الطاعات، فلا بد للقلب من إخلاص التوجه إلى الله، مع إظهار التذلل والمسكنة، والحضور الكامل مع الكلمات التي يتلوها اللسان.

فلا بد من أن تكون هذه الكلمات مترجمة عما في القلب من يقين وإقبال وخشوع.

٢ ـ عدم الإصرار على الذنوب: ولا بد

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٨)، والترمذي (٣٥٣٣)، وأحمد ٥/ ٤١٤.

للمستغفر من الإقلاع عن الذنوب المتلبس بها، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين[(١)].

٣ ـ التصديق بالجنان، واليقين بالثواب.

٤ ـ والإقبال على فعل الحسنات والطاعات: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل: ١١][(٢)].

آداب الاستغفار:

من هذه الآداب:

---

(١) انظر فتح الباري ١١/٩٩، ومجموع الفتاوى ١٠/٣١٩ و ١١/٦٩٩.

(٢) انظر رسالتي: «تحفة الأبرار بشرح حديث سيد الاستغفار».

١ ـ **الطهور**: لقوله ﷺ: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهّر فيحسن الطهور، ثم يستغفر الله ـ عزّ وجلّ ـ إلاّ غفر له. ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾[1] [آل عمران: ١٣٥][2].

٢ ـ **اختيار أفضل الأوقات**: فيختار الوقت المناسب لحضور القلب وخشوعه، وأفضل هذه الأوقات، هو وقت السحر، ولقد مدح الله المستغفرين بالأسحار، فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

---

(١) رواه الترمذي (٤٠٦ ـ ٣٠٠٦)، وأبو داود (١٥٢١)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وأحمد ١/٨ ـ ٩ ـ ١٠، والحميدي (١ ـ ٤ ـ ٥)، والطيالسي (٢)، وابن حبان (٦٢٣)، والمروزي في مسند أبي بكر (٩ ـ ١٠ ـ ١١)، والبغوي في شرح السنة (١٠١٥).

(٢) انظر فتح الباري ١١/٩٨.

٣ ـ **الإكثار من الاستغفار**: يدلنا على هذا كثرة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تحض على الاستغفار، وتمدح المستغفرين.

وقد سبق قوله ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[١].

٤ ـ **أن يجعل الاستغفار في خواتم الأمور**[٢]: ولقد استنبط ابن عباس قرب نهاية أجل النبي ﷺ من سورة إذا جاء نصر الله والفتح، لأنه أمر فيها ﷺ بالتسبيح والاستغفار[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ٣/ ١٢٢ و ١٠/ ٨٩.

(٣) انظر البخاري (٤٩٧٠)، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٤٤٦ و ٧/ ١٣٤.

ثمرات الاستغفار وفوائده:

إنّ للاستغفار ثمرات عظيمة جداً منها:

١ ـ **غفران الذنوب**: فمن اعترف بذنبه غفر له.

٢ ـ **رضى الله ومحبته**: فالاستغفار من الأمور المهمة التي يستجلب بها العبد رضى الله ومحبته.

٣ ـ **رحمة الله**: قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦].

٤ ـ **رفع العذاب**: فالاستغفار من أهم موجبات رفع العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

٥ ـ **الخير الكثير والبركة**: قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

٦ ـ **جلاء القلوب**: فالاستغفار يمحو الذنب، وأثر الذنب، فيجلو القلب مما علق به من أدران الذنوب والمعاصي.

٧ ـ **الاستغفار حاجة العبد الدائمة**: فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية، اليقينية الإيمانية[1].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٦٩٦.

٨ ـ **الحلم والأناة، وبيان النطق:** فمن يحب أن يعامله الله بالحلم، فينبغي أن يتحلى به، فالاستغفار يجعل العبد يعتاد على الحلم والأناة، ويستقيم اللسان به فيعتاد النطق الحق، والبيان الحق.

٩ ـ **كثرة العبادة والزهد في الدنيا:** فالاستغفار يحتاج إلى ندم وتوبة، وهذا يتطلب منه أن يكثر من العبادات. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

• • •

نص رسالة

الاستغفار

أهميته وحاجة العبد إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر وأَعِن يا كريم

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

• • •

فصل

[في أنّ التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات وفعل المحرمات]

والأول: يخفى على كثير من الناس. قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وقال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٢، ٣].

ومثل هذا في القرآن كثير.

فنقول: **التوبة والاستغفار يكون من ترك مأمور، ومن فعل محظور**: فإنّ كلاهما من السيئات والخطايا والذنوب. وترك «الإيمان» و «التوحيد» و «الفرائض» التي فرضها الله تعالى على القلب والبدن من الذنوب بلا ريب، عند كلّ أحد، بل هي أعظم الصنفين. كما قد بسطناه فيما كتبناه من القواعد قبل ذهابي إلى مصر.

فإنّ جنس ترك الواجبات أعظم من جنس فعل المحرمات، إذ قد يدخل في ذلك ترك الإيمان والتوحيد، ومَنْ أتى بالإيمان والتوحيد لم يخلّد في النار، ولو فعل ما فعل.

ومَنْ لم يأتِ بالإيمان والتوحيد كان مخلّداً، ولو كانت ذنوبه من جهة الأفعال قليلة: كالزهّاد والعبّاد من المشركين، وأهل الكتاب كعبّاد مشركي الهند، وعبّاد النصارى؛ وغيرهم؛ فإنهم لا يَقْتُلون، ولا يزنون، ولا يظلمون الناس، لكن نفس الإيمان والتوحيد الواجب تركوه.

ولكن يقال: ترك الإيمان والتوحيد الواجب، إنما يكون مع الاشتغال بضدّه، وضدّه إذا كان كفراً فهم يعاقبون على الكفر، وهو من باب المنهي عنه، وإن كان ضدّه من جنس المباحات كالاشتغال بأهواء النفس ولذاتها، من الأكل والشرب، والرئاسة وغير ذلك عن الإيمان الواجب. فالعقوبة هنا لأجل ترك الإيمان؛ لا لأجل ترك هذا الجنس.

وقد يقال: كلّ مَنْ ترك الإيمان والتوحيد فلا يتركه إلاَّ إلى كفر وشرك؛ فإنّ النفس لا بد لها من إلٰه تعبده، فمن لم يعبد الرحمنَ عَبَدَ الشيطان؟

فيقال: عبادة الشيطان جنس عام، وهذا إذا أمره أن يشتغل بما هو مانع له من الإيمان والتوحيد، يقال: عَبَدَهُ. كما أنّ مَنْ أطاع الشيطان فقد عبده، ولكن عبادة دون عبادة.

والناس نوعان:

طلاب دين.

وطلاب دنيا.

فهو يأمر طلّاب الدين بالشرك والبدعة، كعبّاد المشركين، وأهل الكتاب.

ويأمر طلاب الدنيا بالشهوات البدنية. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلّات الفتن»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٤٢٠ ــ ٤٢٣. وسنده صحيح.

ولهذا قال الحسن البصري[1] لما ذكر الحديث: «لكل عامل شِرَّةٌ، ولكل شِرَّةٌ فترة، فإنْ صاحبها سدّد وقارب فأرجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه»[2].

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ـ واسم أبيه يسار ـ الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور.
انظر التقريب ١/ ١٦٥، والكاشف ١/ ١٦٠، والميزان ١/ ٥٢٧، والتبيين لأسماء المدلسين رقم (١٣) بتحقيقي.

(٢) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لكل عمل شِرَّةٌ، ولكل شرّة فترة، فإن كان صاحبها سادّاً وقارباً، فأرجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه»:
رواه الترمذي (٢٤٥٣)، وابن حبان (٣٤٩) والطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٨٩ وسنده حسن ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن =

فقالوا: أنت إذا مررت في السوق أشار إليك الناس؟

فقال: إنه لم يعن هذا، وإنما أراد المبتدع في دينه، والفاجر في دنياه.

وقد بسطت الكلام على النوعين في مواضع. كما ذكرنا في «اقتضاء الصراط المستقيم»[1] الكلام

= لكل عمل شرَّةً، وإن لكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك»:

رواه أحمد في المسند ٢/ ١٥٨ ــ ١٦٥ ــ ١٨٨ ــ ٢١٠، وابن حبان (١١)، وابن أبي عاصم في السنّة (٥١)، والطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٨٨. وسنده حسن.

والشرة: هي الحرص على الشيء، والرغبة والنشاط.

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٠٢ ــ ١٢٣.

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ١/ ١٠٤: «فتلك =

على قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

وبسط هذا له موضع آخر.

فإنّ ترك الواجب وفِعْلَ المحرم متلازمان؛ ولهذا كان مَنْ فعل ما نهى عنه يقال: إنه عصى الأمر.

= القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والآخرة، وكذلك أموالهم وأولادهم، وتلك القوة والأموال والأولاد: هو الخلاق، فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا.

ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة والأموال: هي دينهم، وتلك الأعمال، لو أرادوا بها الله والدار الآخرة، لكان لهم ثواب في الآخرة عليها، فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها، فدخل في هذا مَنْ لم يعمل إلاَّ لدنياه، سواء كان جنس العمل من العبادات أو غيرها» اهـ.

ولو قال لها: إن عصيتي أمري فأنت طالق. فنهاها فعصته، ففيه وجهان:

أصحهما: أنها تطلق.

وبعض الفقهاء يعلّل ذلك بأنّ هذا يعدّ في العرف عاصياً، ويجعلون هذا في الأصل نوعين.

والتحقيق: أنّ كلّ نهي ففيه طلب واستدعاء لما يقصده الناهي. فهو أمر، فالأمر يتناول هذا وهذا. ومنه قول الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٦٧ ــ ٦٩].

وقال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠].

فقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠].

قد تناوله قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف: ٦٩].

ومنه قول موسى لأخيه: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، وموسى قال له: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: ١٤٢].

نهي: وهو لامه على أنه لم يتبعه، وقال: أفعصيت أمري؟ وعبّاد العجل كانوا مفسدين. وقد جعل هذا كلّه أمراً.

وكذلك قوله: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

فهم لا يعصونه إذا نهاهم، وقوله عن الرسول ﷺ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣].

فمن ركب ما نهى عنه فقد خالف أمره، وقال

تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه: ١٢١]، وإنما كان فعلاً منهياً عنه.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

هو يتناول ما نهى عنه، أقوى مما يتناول ما أمر به، فإنّه قال في الحديث الصحيح: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١).

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، والنسائي ٥/ ١١٠ ـ ١١١، والترمذي (٢٦٧٩)، وابن ماجه (١ ـ ٢)، وأحمد ٢/ ٢٥٨ ـ ٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ٤٤٧ ـ ٤٦٧ ـ ٤٨٢، وعبد الرزاق (٢٠٣٧٢ ـ ٢٠٣٧٤)، وابن حبان (١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١)، والدارقطني ٢/ ١٨١، وابن خزيمة (٢٥٠٨)، والبيهقي ٤/ ٣٢٦، والبغوي (٩٨ ـ ٩٩).

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢].

فالمعصية مخالفة الأمر، ومخالف النهي عاص؛ فإنه مخالف الأمر، وفاعل المحظور قد يكون أظهر معصية من تارك المأمور.

وبالجملة فهما متلازمان: كلّ مَنْ أَمَرَ بشيء فقد نهى عن فعل ضدّه، ومَنْ نهى عن فعل فقد أَمَرَ بفعل ضِدِّه، كما بسط في موضعه؛ ولكن لفظ الأمر يعمّ النوعين، واللفظ العام قد يخصّ أحد نوعيه باسم، ويبقى الاسم العام للنوع الآخر.

فلفظ الأمر عام لكن خصّوا أحد النوعين بلفظ النهي، فإذا قرن النهي بالأمر كان المراد به أحد النوعين، لا العموم.

• • •

فـصـل

[الاستغفار والتوبة من الفعل والترك]

والمقصود أنّ الاستغفار والتوبة يكونان من كلا النوعين؛ وأيضاً فالاستغفار والتوبة مما فعله وتركه في حال الجهل قبل أن يعلم أنّ هذا قبيح من السيئات، وقبل أن يرسل إليه رسول، وقبل أن تقوم عليه الحجة، فإنه سبحانه قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد قال طائفة من أهل الكلام والرأي: إنّ هذا في الواجبات الشرعية غير العقلية، كما يقوله مَنْ يقوله من المعتزلة[1] وغيرهم: من أصحاب

(١) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، كان تلميذ الحسن =

أبـي حنيفة، وغيرهم: مثل أبـي الخطاب وغيره على أنّ الآية عامة: لا يعذّب الله أحداً إلاَّ بعد رسول.

وفيها دليل على أنه لا يعذب إلاَّ بذنب، خلافاً لما يقوله المجبرة[1] . . . .

= البصري، ثم اعتزله، لأنه خالفه في بعض المسائل، فسموا معتزلة. أساس اعتقادهم نفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين، والقول بخلق القرآن. . .

انظر مقالات الإسلاميين ١/٢١٦، والفرق بين الفرق ص ١١٤ ــ ١١٥، والملل والنحل ٢/٣٨، والتبصير في الدين ص ٦٣ ــ ٦٤، والتنبيه ص ٤٩، وذكر مذاهب الفرق ص ٤٩.

ومرهم العلل المعضلة في الرد على المعتزلة لليافعي.

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى.

والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً. =

أتباع جهم[1]: أنه تعالى يعذب بلا ذنب، وقد تبعه

= والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

انظر الملل والنحل ١/ ٧٢ ـ ٧٣، واعتقادات فرق المسلمين ص ٨٩ ـ ٩٠، ولوامع الأنوار ١/ ٩٠ ـ ٩١، والفرق بين الفِرق ص ١٩٩ ـ ٢٠٠، ومقالات الإسلاميين ١/ ٣١٢، وذكر مذاهب الفرق ص ١٣٦.

(١) هو جهم بن صفوان، تنسب إليه الجهمية، تبنّى آراء الجعد بن درهم، وزاد عليها القول بالجبر، وأن الإيمان هو المعرفة، والقول بفناء الجنة والنار، والقول بأن علم الله حادث.

وأخذ الجعد مقالته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت، ابن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم ـ الذي سحر رسول الله ﷺ ـ عن يهودي باليمن.

ولقد ألّف العلماء كتباً كثيرة في بيان ضلالات الجهمية، مثل الرد على الجهمية، للإمام البخاري، وأحمد =

طائفة تنسب إلى السنة: كالأشعري وغيره، وهو قول القاضي أبـي يعلى وغيره، وقالوا: إنّ الله يجوز أن يعذّب الأطفال في الآخرة عذاباً لا نهاية له من غير ذنب فعلوه[1]، وهؤلاء يحتجّون بالآية على إبطال قول من يقول: إنّ العقل يوجب عذاب مَنْ لم يفعل، والآية حجة عليهم ـ أيضاً ـ حيث يجوزون العذاب بلا ذنب، فهي حجة على الطائفتين.

ولها نظائر في القرآن كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

= والدارمي وابن منده، وكتاب بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ وكتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية وغيرها.

(١) انظر خلاف المعتزلة في هذه المسألة في مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩﴾ [الملك: ٨ ـ ٩].

وما فعلوه قبل مجيء الرسل كان سيئاً وقبيحاً وشراً؛ لكن لا تقوم عليهم الحجة إلَّا بالرسول. هذا قول الجمهور.

وقيل: إنه لا يكون قبيحاً إلَّا بالنهي، وهو قول مَنْ لا يثبت حسناً ولا قبيحاً إلَّا بالأمر والنهي. كقول جهم والأشعري ومَنْ تابعه من المنتسبين إلى السنة. وأصحاب مالك والشافعي وأحمد: كالقاضي أبي يعلى، وأبي الوليد الباجي، وأبي المعالي الجويني وغيرهم.

والجمهور من السلف والخلف على أنّ ما

كانوا فيه قبل مجيء الرسول من الشرك والجاهلية شيئاً قبيحاً، وكان شراً. لكن لا يستحقون العذاب إلاَّ بعد مجيء الرسول؛ ولهذا كان للناس في الشرك والظلم والكذب والفواحش ونحو ذلك ثلاثة أقوال:

١ ـ قيل: إنّ قبحهما معلوم بالعقل، وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة، وإن لم يأتهم الرسول، كما يقوله المعتزلة، وكثير من أصحاب أبي حنيفة، وحكوه عن أبي حنيفة نفسه، وهو قول أبي الخطاب، وغيره.

٢ ـ وقيل: لا قبح، ولا حسن، ولا شر فيهما قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه: لا تفعل؛ والحسن ما قيل فيه: افعل، أو ما أذن في فعله. كما تقوله الأشعرية، ومن وافقهم من الطوائف الثلاثة.

٣ ـ وقيل: إنّ ذلك سيء، وشر، وقبيح، قبل مجيء الرسول؛ لكن العقوبة إنما تستحقّ بمجيء الرسول. وعلى هذا عامة السلف، وأكثر المسلمين، وعليه يدل الكتاب والسنة؛ فإنّ فيهما بيان أنّ ما عليه الكفار هو شرّ وقبيح، وسيىء قبل الرسل، وإن كانوا لا يستحقون العقوبة إلاَّ بالرسول. وفي الصحيح أنّ حذيفة قال: «يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»[١].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، وأبو داود (٤٢٤٥ ـ ٤٢٤٦ ـ ٤٢٤٧)، وأحمد ٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٦، وعبد الرزاق (٢٠٧١١)، وابن حبان (٥٩٦٣)، والحاكم ٤/ ٤٣٢، والبيهقي في سننه ٨/ ١٩٠، وفي الدلائل ٦/ ٤٩٠، والبغوي في شرح السنة (٤٢١٩ ـ ٤٢٢٢ ـ ٤٢٢٤).

فصل

[إخبار الله عن قبح أعمال الكفار قبل مجيء الرسول إليهم]

وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول. كقوله لموسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

وقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤ ـ ٦].

فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى، وحين كان صغيراً قبل أن يأتيه برسالة: إنه كان طاغياً مفسداً.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٧ ـ ٣٩].

وهو فرعون، فهو إذ ذاك عدو لله، ولم يكن جاءته الرسالة بعد.

• • •

فصل

[أمر الله الناس أن يتوبوا مما فعلوه]

و «أيضاً» أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه، فلو كان كالمباح المستوي الطرفين والمعفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبة، فعلم أنه كان من السيئات القبيحة، لكنّ الله لا يعاقب إلاَّ بعد إقامة الحجة، وهذا كقوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود: ١ ــ ٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧].

وقال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [نوح: ١ ـ ٤].

فدلّ على أنها كانت ذنوباً قبل إنذاره إياهم.

وقال عن هود: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٥٠ ـ ٥٢].

فأخبر في أول خطابه أنهم مفترون بأكثر الذي كانوا عليه، كما قال لهم في الآية الأخرى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف: ٧١].

وكذلك قال صالح: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود: ٦١].

وكذلك قال لوط لقومه: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠].

فدلّ على أنها كانت فاحشة عندهم قبل أن ينهاهم. بخلاف قول مَنْ يقول: ما كانت فاحشة، ولا قبيحة، ولا سيئة حتى نهاهم عنها؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

وهذا خطاب لمن يعرفون قبح ما يفعلون، ولكن أنذرهم بالعذاب.

وكذلك قول شعيب: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٥].

بيّن أنّ ما فعلوه كان بخساً لهم أشياءهم، وأنهم كانوا عاثين في الأرض مفسدين قبل أن ينهاهم؛ بخلاف قول المجبرة: إنّ ظلمهم ما كان سيئة إلاّ لما نهاهم، وأنه قبل النهي كان بمنزلة سائر الأفعال من الأكل والشرب، وغير ذلك. كما يقولون في سائر ما نهت عنه الرسل من الشرك والظلم والفواحش.

وهكذا إبراهيم الخليل قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٢].

فهذا توبيخ على فعله قبل النهي.

وقال أيضاً: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٦ ـ ١٧].

فأخبر أنهم يخلقون إفكاً قبل النهي.

وكذلك قول الخليل لقومه أيضاً: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٥ ـ ٨٧].

إلى قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦].

فهذا كلّه يبيّن قبح ما كانوا عليه قبل النهي، وقبل إنكاره عليهم، ولهذا استفهم استفهام منكر، فقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦].

أي: وخلق ما تنحتون. فكيف يجوز أن تعبدوا ما تصنعونه بأيديكم، وتدعون رب العالمين؟!

فلولا أنّ حُسْنَ التوحيد، وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وقبح الشرك ثابت في نفس الأمر، معلوم بالعقل، لم يخاطبهم بهذا؛ إذ كانوا لم يفعلوا شيئاً يذمّون عليه، بل كان فعلهم كأكلهم وشربهم، وإنما كان قبيحاً بالنهي، ومعنى قبحه كونه منهياً عنه، لا لمعنى فيه؛ كما تقوله المجبرة.

وأيضاً ففي القرآن في مواضع كثيرة يبيّن لهم قبح ما هم عليه من الشرك وغيره بالأدلة العقلية، ويضرب لهم الأمثال، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ــ ٨٥].

وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٧].

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩].

فهذا يقتضي أنّ اعترافهم بأنّ الله هو الخالق

يوجب انتهاءهم عن عبادتها، وأنّ عبادتها من القبائح المذمومة؛ ولكنّ هؤلاء يظنون أنّ الشرك هو اعتقاد أنّ ثَمَّ خالق آخر، وهذا باطل؛ بل الشرك عبادة غير الله وإن اعترف المشرك بأنه مخلوق.

وقوله: إنه كلّه لله، كذب مفترى، وإن قال: إنه مخلوق. ومثل هذا كثير في القرآن. كقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٠ ـ ٦١].

وهذا في جملة بعد جملة يقول: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾، إنكاراً عليهم أن يعبدوا غير الله، ويتّخذوه إلهاً مع اعترافهم بأنّ هذا لم يفعله إله غير الله، وإنما فعله هو وحده.

وقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ جواب الاستفهام، أيّ: إله مع الله [موجود؟] وهذا غلط، فإنهم يجعلون مع الله آلهة ويشهدون بذلك؛ لكن ما كانوا يقولون: إنهم فعلوا ذلك. والتقرير إنما يكون لما يقرون به، وهم مقرّون بأنهم لم يفعلوا، لا يقرّون بأنه لم يكن معه إله. قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩].

فهذا وإن كان قال الصحابة والتابعون: إنّ كلّ عاص فهو جاهل[1]. كما قد بسط في موضع آخر،

---

(١) قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧].
فقالوا: كلّ مَنْ عصى الله فهو جاهل، ومن تاب قبيل الموت فقد تاب من قريب.
وعن قتادة قال: أجمع أصحاب محمد رسول الله ﷺ على أنّ كلّ من عصى ربّه فهو في جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل مَن عصى الله فهو جاهل.
وكذلك قال التابعون ومن بعدهم.
انظر تفسير الطبري ٣/ ٦٤٠ ـ ٦٤٢، وتفسير البغوي ١/ ٤٠٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٦٣.

فهو متناول لمن يكَون علم التحريم أيضاً.

فدلّ على أنه يكون عاملاً سوءاً، وإن كان لم يسمع الخطاب المبين المنهي عنه، وإنه يتوب من ذلك فيغفر الله له ويرحمه، وإن كان لا يستحقّ العقاب إلاَّ بعد بلوغ الخطاب، وقيام الحجة.

وإذا كانت التوبة والاستغفار تكون من ترك الواجبات، وتكون مما لم يكن علم أنه ذنب، تبيّن كثرة ما يدخل في التوبة والاستغفار، فإنّ كثيراً من الناس إذا ذكرت التوبة والاستغفار يستشعر قبائح قد فعلها، فعلم بالعلم العام أنها قبيحة: كالفاحشة، والظلم الظاهر. فأما ما قد يتخذ ديناً فلا يعلم أنه ذنب، إلاَّ مَنْ علم أنه باطل، كدين المشركين، وأهل الكتاب المبدل، فإنه مما تجب التوبة والاستغفار

= وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٣٤٠، والدر المنثور ٢/ ١٣٠.

منه، وأهله يحسبون أنهم على هدى. وكذلك البدع كلّها.

ولهذا قال طائفة من السلف ـ منهم الثوري ـ[1]: البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية: لأنّ المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[2].

وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إنّ الله حجز التوبة على كلّ صاحب بدعة[3]، بمعنى: أنه

---

(1) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ثقة، حافظ فقيه، عابد، إمام، حجة، انظر التقريب ١/ ٣١١، وسلسلة أعلام المحدثين.

(2) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد برقم (٢٣٨) ١/ ١٣٢.

وفي سنده: يحيى بن يمان العجلي: صدوق، عابد، يخطىء كثيراً، انظر التقريب ٢/ ٣٦١، والكاشف ٣/ ٢٣٩.

(3) ورد في حديث مرفوع: «إن الله حجز التوبة عن كل =

لا يتوب منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر.

ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً؛ فقد غلط غلطاً منكراً.

ومَنْ قال[1]: ما أذن الله لصاحب بدعة في

= صاحب بدعة» وفي لفظة: حجب، وفيه زيادة: حتى يدع بدعته.

رواه الطبراني في الأوسط ـ كما في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٩ ـ ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٥٥، وأبو يعلى، والبيهقي في الشعب ٥/ ٤٤٩ و ٧/ ٥٩ ـ ٦٠.

وسنده حسن إن شاء الله تعالى.

انظر تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (٥٠).

(١) القائل هو عطاء الخراساني قال: «ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة».

توبة[1].

فمعناه: ما دام مبتدعاً يراها حسنة لا يتوب منها، فأما إذا أراه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على ضلال، وإلاَّ فمعلوم أنّ كثيراً ممن كان على بدعة تبيّن له ضلالها وتاب الله عليه منها. وهؤلاء لا يحصيهم إلاَّ الله.

و الخوارج[2] لما أرسل إليهم ابن عباس

---

(١) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد برقم (٢٨٣) ٢/ ١٤١ وسنده صحيح إليه.

(٢) اعلم أنّ أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين: الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي، ويزيد بن حصن الطائي.

وكبار فرق الخوارج ستة: المحكّمة، فالأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، =

فناظرهم، رجع منهم نصفهم، أو نحوه، وتابوا، وتاب منهم آخرون على يد عمر بن عبد العزيز وغيره، منهم مَنْ سمع العلم فتاب، وهذا كثير، فهذا القسم الذي لا يعلم فاعلوه قبحه قسم كثير من أهل القبلة، وهو في غيرهم عام، وكذلك ما يترك الإنسان من واجبات لا يعلم وجوبها كثيرة جداً، ثم إذا علم ما كان قد تركه من الحسنات من التوحيد والإيمان، وفيما كان مأموراً بالتوبة منها، والاستغفار مما كان سيئة، والتائب يتوب مما تركه، وضيعه، وفرط فيه،

= والإباضية.

يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي، ويقدّمون ذلك على كلّ طاعة، ولا يصحّحون المناكحات إلاّ على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

انظر الملل والنحل ١/١٠٦ ـ ١٠٧، واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٠، ولوامع الأنوار ١/٨٦.

من حقوق الله تعالى، كما يتوب مما فعله من السيئات، وإن كان قد فعل هذا وترك هذا قبل الرسالة، فبالرسالة يستحقّ العقاب على ترك هذا وفِعل هذا. وإلاَّ فكونه كان فاعلاً للسيئات المذمومة، وتاركاً للحسنات التي يذم تاركها، كان تائباً قبل ذلك كما تقدم. وذكرنا القولين قول مَنْ نفى الذم والعقاب، وقول مَنْ أثبت الذم والعقاب.

فإن قيل: إذا لم يكن معاقباً عليها، فلا معنى لقبحها؟.

قيل: بل فيه معنيان:

أحدهما: أنه سبب للعقاب، لكن هو متوقف على الشرط، وهو الحجة، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلولا إنقاذه لسقطوا، ومَنْ كان واقفاً على شفير

فهلك، فهلاكه موقوف على سقوطه، بخلاف ما إذا بان وبعد عن ذلك، فقد بعد عن الهلاك. فأصحابها كانوا قريبين إلى الهلاك والعذاب.

الثاني: أنهم مذمومون، منقوصون، معيبون، فدرجتهم منخفضة بذلك، ولا بد. ولو قدّر أنهم لم يعذّبوا لا يستحقون ما يستحقه السليم من ذلك من كرامته ــ أيضاً ــ وثوابه. فهذه عقوبة بحرمان خير، وهي أحد نوعي العقوبة.

هذا وإن كان حاصلاً لكلّ مَنْ ترك مستحباً، فإنه يفوته خيره، ففرق بين ما يفوته ما لم يحصل له، وبين ما ينقص ما عنده. وهذا كلام عام فيما لم يعاقب عليه من الذنوب.

وأما مَنْ لم يرسل إليه رسول في الدنيا: فقد رويت آثار أنهم يرسل إليهم رسول في عرصات القيامة، كما قد بسط في

مواضع[1].

وقد تنازع الناس في الوجوب والتحريم هل يتحقق بدون العقاب على الترك؟ على قولين:

قيل: لا يتحقق؛ فإنه إذا لم يعاقب كان كالمباح.

وقيل: يتحقق؛ فإنه لا بد أن يذم وإن لم يعاقب.

وتحقيق الأمر أنّ العقاب نوعان:

نوع بالآلام. فهذا قد يسقط بكثرة الحسنات.

ونوع بنقص الدرجة، وحرمان ما كان يستحقه. فهذا يحصل إذا لم يحصل الأول. والله تعالى يكفّر سيئات المسيء، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُوا۟

---

(1) انظر في هذه المسألة الاعتقاد للبيهقي ص ١٦٩ ــ ١٧٠ وقد روي في هذا حديث ضعيف.

﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

فيكفّرها تارة بالمصائب، فتبقى درجة صاحبها كما كانت، وقد تصير درجته أعلى، ويكفّرها بالطاعات.

ومَنْ لم يأت بتلك السيئات أعلى درجة، فيحرم صاحب السيئات ما يسقط بإزائها من طاعته، وهذا مما يتوب منه مَنْ أراد أن لا يخسر، ومن فرط في مستحبات فإنه يتوب أيضاً؛ ليحصل له موجبها. فالتوبة تتناول هؤلاء كلهم.

وتوبة الإنسان من حسناته على أوجه:

أحدهما: أن يتوب ويستغفر من تقصيره فيها.

والثاني: أن يتوب مما كان يظنه حسنات ولم يكن، كحال أهل البدع.

والثالث: يتوب من إعجابه ورؤيته أنه فعلها، وأنها حصلت بقوته، وينسى فضل الله وإحسانه، وأنه هو المنعم بها؛ وهذه توبة من فعل مذموم، وترك مأمور.

ولهذا قيل: **تخليص الأعمال مما يفسدها أشد على العاملين من طول الاجتهاد، وهذا يبيّن احتياج الناس إلى التوبة دائماً**.

ولهذا قيل: هي مقام يستصحبه العبد من أول ما يدخل فيه إلى آخر عمره، ولا بد منه لجميع الخلق؛ فجميع الخلق عليهم أن يتوبوا وأن يستديموا التوبة. قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ ـ ٧٣].

فغاية كلّ مؤمن التوبة، وقد قال الله لأفضل

الأنبياء، وأفضل الخلق بعد الأنبياء، وهم السابقون الأولون: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

ومن أواخر ما أنزل الله قوله[1]: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر].

وقد ثبت في الصحيحين أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك. اللهم

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٣٠٢٤)، والنسائي في الكبرى (٧٣٣) ٢/٥٦٨ عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١].
وانظر الإتقان ١/٨٩.

اغفر لي يتأوّل القرآن»[1].

وفي لفظ لمسلم[2] عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك، وأتوب إليك. قالت: فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قولك سبحانك اللهم، وبحمدك، أستغفرك، وأتوب إليك؟ فقال:

---

(١) رواه البخاري (٧٩٤ ـ ٨١٧ ـ ٤٢٩٣ ـ ٤٩٦٧ ـ ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤)، وأبو داود (٨٧٧)، والنسائي ٢/ ١٩٠، وفي الكبرى (٧٣٠) ٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥، وابن ماجه (٨٨٩)، وأحمد ٦/ ٤٣، وابن حبان (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ ـ ٦٤١٢)، والطبراني في الدعاء (٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٤)، والمروزي في مختصر قيام الليل ص ١٦٥.

(٢) رواه مسلم (٤٨٤)، والطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣، وابن حبان في صحيحه (٦٤١١)، والبغوي في تفسيره ٤/ ٥٤٢.

أخبرني ربـي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثـرت مـن قـول: سبحـانـك اللهـم وبحمـدك، أستغفرك، وأتوب إليك، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ ــ ٣].

وأَمْرُهُ سبحانه له بالتسبيح بحمده والاستغفار في هذه الحال لا يقتضي أنه لا يشرع في غيرها، أو لا يؤمر به غيره، بل يقتضي أنّ هذا سبب لما أمر به، وإنْ كان مأموراً به في مواضع أخر. كما يؤمر الإنسان بالحمد والشكر على نعمه، وإن كان مأموراً بالشكر عليها، وكما يؤمر بالتوبة من ذنب وإن كان مأموراً بالتوبة من غيره؛ لكن هو أمر أن يختم عمله بهذا، فغيره أحوج إلى هذا منه، وقد يحتاج العبد إلى هذا في غير هذه الحال، كما يحتاج إلى التوبة، فهو

محتاج إلى التوبة والاستغفار مطلقاً، كما ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ كان يستغفر عقب الصلاة ثلاثاً[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧]:

قاموا الليل ثم جلسوا وقت السحر يستغفرون.

وقد ختم الله سورة المزمل، وفيها قيام الليل بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

كما ختم بذلك «سورة المدثر» بقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦].

---

(١) رواه مسلم (٥٩١)، والنسائي ٣/٦٨، وفي عمل اليوم والليلة (١٣٩)، والترمذي (٣٠٠)، وأبو داود (١٥١٣)، وابن ماجه (٩٢٨)، وأحمد ٥/ ٢٧٥ ــ ٢٧٩، والدارمي ١/ ٣١١، وابن خزيمة (٧٣٧)، والطبراني في الدعاء (٦٤٩).

فهو سبحانه أهل التقوى، ولم يقل سبحانه: أهل للتقوى. بل قال: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فهو وحده أهل أن يتقى، فيعبد دون ما سواه، ولا يستحق غيره أن يتقى، كما قال: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل: ٥٢].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

وهو أهل المغفرة، ولا يغفر الذنوب غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وفي غير حديث يقول النبي ﷺ: «إنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت»[1] فهو سبحانه أهل التقوى، وأهل

---

(١) كحديث سيد الاستغفار:

رواه البخاري (٦٣٠٦)، والنسائي ٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، وفي عمل اليوم والليلة (١٩ ـ ٤٦٤ ـ ٥٨٠).

المغفرة.

وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع، كقوله سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

= وأحمد ٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥، وابن أبي شيبة (٢٩٤٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦١٧)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٨.
وابن حبان (٩٣٢ ـ ٩٣٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٧١٧٢ ـ ٧١٧٣ ـ ٧١٧٤)، وفي الدعاء (٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٦)، وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥، وابن منده في التوحيد (٢١٨ ـ ٢٥٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣٠٨) من طريق حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة، عن بشير بن كعب، عن شداد بن أوس.
وانظر باقي تخريجه في رسالتنا «تحفة الأبرار بشرح حديث سيد الاستغفار».

فالمؤمنون يستغفرون مما كانوا تاركيه قبل الإسلام من توحيد الله، وعبادته، وإن كان ذلك لم يأتهم به رسول بعد، كما تقدم، والرسول يستغفر مِنْ تَرْك ما كان تاركه، كما قالْ فيه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وإن كان ذلك لَم يكن عليه عقاب، والمؤمن إذا تبيّن له أنه ضيّع حقّ قرابته أو غيره استغفر الله من ذلك وتاب، وكذلك إذا تبيّن له أنّ بعض ما يفعله هو مذموم.

• • •

فصل

[في ما يستغفر ويُتاب منه]

وأيضاً فمما يستغفر ويتاب منه ما في النفس من الأمور التي لو قالها أو فعلها عذّب. قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فهو يغفر لمن يرجع عما في نفسه، فلم يتكلم به، ولم يعمل: كالذي هَمَّ بالسيئة ولم يعملها، وإنْ تركها لله كتبت له حسنة(١). وهذا مما يستغفر منه

---

(١) الحديث: «مَنْ هَمَّ بحسنة فعملها، كتبت له عشرة أمثالها، ومَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها، كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة، غير مضعفة»:

ويتوب: فإنّ الاستغفار والتوبة من كلّ ما كان سبباً للذم والعقاب. وإن كان لم يحصل العقاب، ولا الذم، فإنه يفضي إليه، فيتوب من ذلك: أي يرجع عنه، حتى لا يفضي إلى شرّ، فيستغفر الله منه. أي: يطلب منه أن يغفر له، فلا يشقيه به؛ فإنه وإن لم يعاقب عليه فقد ينقص به. فالذي يهمّ بالسيئات وإن كان لا يكتب عليه سيئة؛ لكنه اشتغل بها عما كان ينفعه، فينقص بها عمن لم يفعلها، واشتغل بما ينفعه عنها.

وقد بسطنا في غير هذا الموضع: أنّ فعل الإنسان وقوله ـ إما له وإما عليه ـ لا يخلو من هذا أو هذا. فهو يستغفر الله ويتوب مما عليه، وقد يظنّ

= رواه مسلم (١٦٢)، والترمذي (١٦٢٥)، وأحمد ٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩، وأبو يعلى (٣٤٥١)، وأبو عوانة ١/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وابن حبان (٤٦٤٧ ـ ٦١٧١).

ظنون سوء باطلة، وإنْ لم يتكلّم بها، فإذا تبيّن له فيها استغفر الله وتاب.

وظلمه لنفسه يكون بترك واجب كما يكون بفعل محرم. فقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ [النساء: ١١٠]، من عطف العام على الخاص.

وكذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]:

وقد قيل: في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]:

قيل: الفاحشة: الزنا.

وقيل: كلّ كبيرة، وظلم النفس المذكور معها.

قيل: هو فاحشة أيضاً.

وقيل: هي الصغائر. وهذا يوافق قول مَنْ قال: الفاحشة: هي الكبيرة، فيكون الكلام قد تناول الكبيرة والصغيرة.

ومن قال: الفاحشة: الزنا، يقول: ظلم النفس يدخل فيه سائر المحرمات.

وقيل: الفاحشة: الزنا، وظلم النفس: ما دونه من اللمس والقبلة والمعانقة.

وقيل: هذا هو الفاحشة، وظلم النفس المعاصي.

وقيل: الفاحشة: فعل وظلم النفس قول(١).

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣:

«والفاحشة: القبيحة، وكل شيء جاوز قدره فهو فاحش وفي المراد هاهنا قولان:

أحدهما: أنها الزنى. قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين.

والتحقيق: أنّ ظلم النفس جنس عام يتناول كلّ ذنب، وفي الصحيحين أنّ أبا بكر قال: يا رسول الله! علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي.

فقال: «قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنتَ الغفور الرحيم»[1].

= واختلفوا في الظلم المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة ـ أيضاً ـ.

وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر» اهـ.

وانظر تفسير الطبري ٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١، وتفسير البغوي ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(١) رواه البخاري (٨٣٤ ـ ٦٣٢٦ ـ ٨٣٨٧ ـ ٨٣٨٨)، ومسلم (٢٧٠٥)، والترمذي (٣٥٣١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٧٩)، وفي المجتبى ٣/ ٥٣، وفي الكبرى (٧٧١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٥)، وأحمد ١/ ٣ ـ =

وفي صحيح مسلم وغيره أنّ النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي: فإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني سيئها إلاَّ أنت»(١).

= ٤ ـ ٧، وأبو يعلى (٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢)، وعبد بن حميد (٥)، وابن خزيمة (٨٤٥)، وابن أبي شيبة (٢٩٣٥٤)، والطبراني في الدعاء (٦١٧)، وابن حبان (١٩٧٦)، والمروزي في مسند أبي بكر (٦٠ ـ ٦١)، والبيهقي ٢/ ١٥٤.

(١) رواه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢١، ٣٤٢٢)، والنسائي ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والدارمي ١/ ٣٠٩، وأحمد في المسند ١/ ٩٤ ـ ١٠٢.

والطبراني في الدعاء (٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

وقد قال أبو البشر وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وقال ذو النون يونس: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقالت بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ(١).

وقد قال عن أهل القرى المعذبين: ﴿وَمَا

---

(١) هكذا بالأصل.

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١].

وأما قوله: ﴿ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

فقد قيل: إنّ الذنوبْ: هي الصغائر، والإسراف: هو الكبائر[1].

والتحقيق: أنّ «الذنوب» اسم جنس، و «**الإسراف**» تعدّي الحد، ومجاوزة القصد، كما في لفظ الإثم والعدوان، فالذنوب كالإثم، والإسراف كالعدوان، كما في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومجاوزة قدر الحاجة.

فالذنوب مثل اتباع الهوى بغير هدى من الله.

---

(١) انظر زاد المسير ١/ ٤٧٣، وتفسير البغوي ١/ ٣٦٠، وتفسير الطبري ٣/ ٤٦٤ ــ ٤٦٥.

فهذا كلّه ذنب، كالذي يرضى لنفسه، ويغضب لنفسه، فهو متّبع لهواه.

و «الإسراف» كالذي يغضب لله، فيعاقب بأكثر مما أمر الله. والآية في سياق قتال المشركين، وما أصابهم يوم أحد.

وقد أخبر عمن قبلهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقد قيل على الصحيح: المراد به النبي ﷺ وإن لم يقتل في معركة فقد قتل أنبياء كثيرون[1]: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ

---

(١) انظر تفسير البغوي ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠، وزاد المسير ١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢، وتفسير الطبري ٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧] الآية.

فجمعوا بين الصبر والاستغفار، وهذا هو المأمور به في المصائب: الصبر عليها، والاستغفار من الذنوب التي كانت سببها.

والقتال كثيراً ما يقاتل الإنسان فيه لغير الله، كالذي يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فهذا كلّه ذنوب، والذي يقاتل لله قد يسرف فيقتل مَنْ لا يستحق القتل، ويعاقب الكفّار بأشدّ مما أمر به، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف: ٣١].

فالإسراف مجاوزة الحد.

هذا آخر ما كتبته هنا. والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله رب العالمين.

• • •

[الاستغفار حاجة دائمة للعبد]

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ :

الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، من العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل: **فإنّ العابد لله، والعارف بالله، في كلّ يوم،** بل في كل ساعة، بل في كل لحظة، يزداد علماً بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقّها، **فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل**

وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية.

وقد ثبتت: دائرةَ الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إله إلاَّ الله، من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلّهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكلّ عامل مقام معلوم. فشهادة أن لا إله إلاَّ الله بصدق ويقين تذهب الشرك كلّه، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره؛ سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو

الذنب الذي هو من شعب الشرك؛ فإنّ الذنوب كلّها من شعب الشرك. **فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه**، فأبلغ الثناء قول: لا إله إلاَّ الله، وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله. فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه، ولأخوانه من المؤمنين.

وقال: إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلّما قوي نور الحق وبرهانه في القلوب خفي عن المعرفة، كما يبهر ضوء الشمس عيون الخفافيش بالنهار.

فاحذر مثل هؤلاء وعليك بصحبة أتباع الرسل المؤيدين بنور الهدى وبراهين الإيمان، أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات، الفارقين بين الواردات الرحمانية والشيطانية، العالمين العاملين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ **[المجادلة: ٢٢]**.

وقال: التوبة من أعظم الحسنات، والحسنات كلّها مشروط فيها الإخلاص لله، وموافقة أمره باتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع. فمن أحس بتقصير في قوله؛ أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلّب قلب: فعليه بالتوحيد، والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص.

وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة، والأهل والأولاد، والجيران، والإخوان، فعليه بالدعاء لهم، والاستغفار. قال حذيفة بن اليمان للنبي ﷺ: إن لي لساناً ذرباً على أهلي.

فقال له: «أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة»[1]

---

(١) هذا الحديث ورد من طرق عن أبي إسحاق به:

ـ فرواه من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبيد بن عمير أبي المغيرة، عن حذيفة: =

= أحمد في المسند ٥/ ٣٩٤.
والدارمي في سننه في كتاب الرقاق، باب (١٥) في الاستغفار، حديث رقم (٢٧٢٣) ٢/ ٣٩١.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٢) ٣/ ١٦١٣.
ـ ورواه من طريق سفيان، عن أبـي إسحاق، عن أبـي المغيرة، عن حذيفة به:
النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥١ ـ ٤٥٢) ص ٣٢٩.
وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٧ ـ ٤٠٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٥١١، و ٢/ ٤٥٧، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٤) ٣/ ١٦١٤، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٢٦) ٣/ ٢٠٥، والبيهقي في الشعب، حديث رقم (٦٤٣) ١/ ٤٣٩.
ـ ورواه من طريق مالك بن مغول، عن أبـي إسحاق، عن أبـي المغيرة، عن حذيفة:
هناد في الزهد، حديث رقم (٩١٦) ٢/ ٤٦٠، والطبراني =

= في الدعاء، حديث رقم (١٨١٨) ٣/ ١٦١٥، وفي المعجم الصغير ١/ ١٠٩.

ـ ورواه من طريق عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

المحاملي في الأمالي، حديث رقم (٣٢٢) ص ٣٠٧.

وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٧٦، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٩) ٣/ ١٦١٥ ـ ١٦١٦.

ـ ورواه من طريق أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥٠) ص ٣٢٨.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤٤١) ٦/ ٥٦، وحديث رقم (٣٥٠٧٨) ٧/ ١٧٣.

وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٦٢) ص ١٣٠، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٣) ٣/ ١٦١٣ ـ ١٦١٤، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٧٦. =

= ـ ورواه من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

الطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٦ ـ ١٨١٧) ٣/ ١٦١٤ ـ ١٦١٥.

ـ ورواه من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

ابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٧) الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٧) بتحقيقنا.

ـ ورواه من طريق أبي خالد الدالاني، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥٣) ص ٣٢٩، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨١٥) ٣/ ١٦١٤.

ـ ورواه من طريق فطر، عن أبي إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة به:

أبو نعيم في جزء تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن =

= أبـي نعيم، حديث رقم (٧٥) ص ١٠٥ .

ــ ورواه مـن طـريـق شعبـة، عـن أبــي إسحـاق، عـن أبـي المغيرة، عن حذيفة به:

أحمد في المسند ٥/٣٩٦، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٤٢٧) ص ٥٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٥١٠ ــ ٥١١، والبيهقي في الشعب ١/ ٤٣٩ .

قلت: سنده ضعيف، فيه:

١ ــ أبو المغيرة البجلي: اختلف في اسمه اختلاف كبير: مجهول. انظر التهذيب ١٢/٢٤٥، والتقريب ٢/ ٤٧٦ .

٢ ــ وقد وقع فيه اختلاف على شعبة:

(أ) فـرواه سعيـد بـن عـامـر، عـن شعبـة، عـن أبـي إسحاق، عن مسلم بن نذير، عن حذيفة به:

النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٤٨) ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨.

(ب) ورواه غندر، فقال: عن شعبة، عن أبـي إسحاق، =

. . . .

• • •

= عن أبـي المغيرة عن حذيفة به، كما رواه الجماعة:

النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٤٩) ص ٣٢٨، والصواب رواية غندر.

قلت: وفي الباب عن أنس:

رواه ابن المبارك في الزهد، حديث رقم (١١٣٧) ص ٤٠٠، والخطيب في تاريخه ١٢/ ٤٨٠ ــ ٤٨١.

ولكن سنده ضعيف جداً، فيه:

كثير بن سليم المدائني: قال النسائي: متروك الحديث وقال أبو زرعة: واهي الحديث. انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨١، والجرح ٣/ ٢/ ١٥٢.

[الاستغفار بالقلب واللسان]

وسُئل ـ رحمه الله ـ :

عن قوله: «مَا أَصَرَّ مَن استغفر، وإنْ عاد في اليوم والليلة سبعين مرة»[1]. هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ؟ أو أنه إذا استغفر ينوي بالقلب أن لا يعود إلى الذنب؟ وهل إذا تاب من الذنب وعزم بالقلب أن لا يعود إليه، وأقام مدة ثم وقع فيه أفيكون ذلك الذنب القديم يضاف إلى الثاني؟ أو يكون

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩) وأبو يعلى في مسنده (١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩)، والطبري في تفسيره ٣/ ٤٤٢، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٧٩٧).

وسنده ضعيف، فيه:

رجل مبهم: مولى لأبي بكر.

مغفوراً بالتوبة المتقدمة؟ وهل التائب من شرب الخمر ولبس الحرير، يشربه في الآخرة؟ ويلبس الحرير في الآخرة؟ والتوبة النصوح ما شرطها؟

فأجاب: الحمد لله.

بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان، فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في الحديث الآخر: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»[1] فإذا أصرّ على الصغيرة صارت كبيرة،

---

(١) رواه أبو الشيخ، والديلمي في الفردوس (٧٩١٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٨٥٣)، والبيهقي في الشعب (٧٢٦٨).
وفي سنده: أبو شيبة الخراساني: قال الذهبي: أتى بخبر منكر. انظر الميزان ٤/ ٥٣٧.
وانظر فيض القدير ٦/ ٤٣٦، والشذرة في الأحاديث المشتهرة ٢/ ٢٥٣، والمقاصد (١٣٠٨)، والدرر المنتثرة (٤٤٥)، والغماز (٣٣٨).

وإذا تاب منها غفرت. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥].

وإذا تاب توبة صحيحة غفرت ذنوبه، فإن عاد إلى الذنب فعليه أن يتوب أيضاً، وإذا تاب قبل الله توبته أيضاً.

وقد تنازع العلماء في التائب من الكفر، إذا ارتد بعد إسلامه، ثم تاب بعد الردة وأسلم. هل يعود عمله الأول؟ على قولين مبناهما أنّ الردة هل تحبط العمل مطلقاً، أو تحبطه بشرط الموت عليها.

١ ـ فمذهب أبي حنيفة ومالك أنها تحبطه مطلقاً

٢ ـ ومذهب الشافعي أنها تحبطه بشرط الموت عليها[1].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٣، ٢٥٤، وتفسير الطبري ٢/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ١/ ١٩٠

والردّة ضدّ التوبة، وليس من السيئات ما يمحو جميع الحسنات إلاَّ الردة، وقد قال تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (توبة نصوحاً): أن يتوب ثم لا يعود: فهذه التوبة الواجبة التامة[١].

ومَنْ تاب من شرب الخمر، ولبس الحرير، فإنه يلبس ذلك في الآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ شرب الخمر ثم لم يتب منها حرمها»[٢].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٢/١٥٨.

(٢) رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣)، والنسائي ٨/٣١٨ ــ ٢٩٦ ــ ٢٩٧، وأبو داود (٣٦٧٩)، والدارمي ٢/١١١.

وعبد الرزاق (١٧٠٥٦ ــ ١٧٠٥٧)، وأحمد ٢/١٩ ــ

وقد ذهب بعض الناس كبعض أصحاب أحمد: إلى أنه لا يشربها مطلقاً، وقد أخطأوا الصواب الذي عليه جمهور المسلمين.

• • •

= ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٨، ومالك في الموطأ ٢/٧٤٦، وابن حبان (٥٣٦٦)، والدارقطني ٤/٢٤٨، والبيهقي ٨/ ٢٨٧، ٢٨٨، والبغوي (٣٠١٢ ـ ٣٠١٣).

وسُئل ــ رحمه الله ــ:

عن اليهودي أو النصراني إذا أسلم. هل يبقى عليه ذنب بعد الإسلام؟

فأجاب:

إذا أسلم باطناً وظاهراً غفر له الكفر الذي تاب منه بالإسلام بلا نزاع، وأما الذنوب التي لم يتب منها مثل: إن يكن مصراً على ذنب، أو ظلم، أو فاحشة، ولم يتب منها بالإسلام، فقد قال بعض الناس: إنه يغفر له بالإسلام.

والصحيح: أنه إنما يغفر له ما تاب منه. كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قيل: أنؤاخذ بما

عملنا في الجاهلية؟ فقال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية. ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»(١).

و «**حسن الإسلام**»: أن يلتزم فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه. وهذا معنى التوبة العامة، فمن أسلم هذا الإسلام غفرت ذنوبه كلّها.

وهكذا كان إسلام السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعمرو بن العاص: «أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما كان

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠)، وابن ماجه (٤٢٤٢)، وأحمد ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ ٤٦٢، والدارمي (١)، وعبد الرزاق (١٩٦٨٦)، وابن حبان (٣٩٦)، والبيهقي في سننه ٩/ ٢٣، والبغوي في شرح السنة (٢٨).

قبله؟[1].

فإنّ اللام لتعريف العهد، والإِسلام المعهود بينهم كان الإِسلام الحسن.

وقوله: «ومن أساء في الإِسلام أخذ بالأول والآخر» أي: إذا أصرّ على ما كان يعمله من الذنوب فإنه يؤاخذ بالأول والآخر. وهذا موجب النصوص والعدل، فإنّ مَنْ تاب من ذنب غفر له ذلك الذنب ولم يجب أن يغفر له غيره.

والمسلم تائب من الكفر، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) رواه مسلم (١٢١).

وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

أي: إذا انتهوا عما نهوا عنه غفر لهم ما قد سلف.

فالانتهاء عن الذنب هو التوبة منه، مَن انتهى عن ذنب غفر له ما سلف منه، وأما مَنْ لم ينته عن ذنب فلا يجب أن يغفر له ما سلف لانتهائه عن ذنب آخر، والله أعلم.

• • •

خاتمة التحقيق

يقول العبد الفقير إلى عفو مولاه ورضاه أبو عبد الرحمن، فواز أحمد زمرلي: انتهيت من التعليق عليه بقدر الطاقة مساء يوم الثلاثاء الموافق في ١٩ جمادى الثانية سنة ١٤١٥ هجرية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتب أبو عبد الرحمن

فوّاز أحمد زمرلي

طرابلس الشام

الفهارس

(١) فهرس الآيات الكريمة .

(٢) فهرس الأحاديث والآثار .

(٣) فهرس المصادر والمراجع .

(٤) فهرس الموضـوعات .

(١)

فهرس الآيات الكريمة

أول الآية	رقم الصفحة
﴿أءِله مع الله﴾	٥٤، ٥٥
﴿أئنكم تشهدون أن مع الله إلهاً﴾	٥٥
﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾	٥٠
﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم﴾	٥٠
﴿أتجادلونني في أسماء سمّيتموها﴾	٥٠
﴿أتعبدون ما تنحتون﴾	٥٢
﴿اخلفني في قومي﴾	٣٦
﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾	٦٧، ٦٩
﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾	٤٦

أول الآية	رقم الصفحة
﴿اغفر لنا ذنوبنا﴾	٨١
﴿أفلا تتقون﴾	٥٣
﴿الـرَ، كتاب أحكمت﴾	٤٨
﴿أمّن خلق السموات والأرض﴾	٥٤
﴿إن تجتنبوا كبائر﴾	٦٤
﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾	٤٩
﴿إنّ الحسنات يذهبن السيئات﴾	٢٣
﴿إن فرعون علا في الأرض﴾	٤٦
﴿إنك لن تستطيع مع صبراً﴾	٣٤
﴿إنما التوبة على الله للذين﴾	٥٥
﴿أهل التقوى﴾	٧١
﴿أوفوا المكيال والميزان﴾	٥١
﴿أولئك حزب الله﴾	٨٧
﴿ألّا تعبدوا إلّا الله﴾	٢٩
﴿إلّا مَنْ ظلم﴾	١٨
﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾	٩٧

أول الآية	رقم الصفحة
﴿ثم إنّ ربك للذين. . .﴾	٥٦
﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾	٨٠
﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت﴾	٨٠
﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾	٨٠
﴿غير باغ ولا عاد﴾	٨١
﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾	١٠١
﴿فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم﴾	٣٤
﴿فاصبر إنّ وعد الله حق﴾	٢٨
﴿فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله﴾	٧٢
﴿فإن اتبعتني فلا تسألني﴾	٣٥
﴿فأنى تسخرون﴾	٥٣
﴿فقلت استغفروا ربكم﴾	٢٢
﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾	٨٢
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾	٣٦
﴿فلا تساءلني عن شيء﴾	٣٥

أول الآية	رقم الصفحة
﴿قل: إنما أنا بشر مثلكم﴾	٤٩
﴿قل: لمن الأرض ومن فيها﴾	٥٣
﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم﴾	٤٣
﴿لئلا يكون للناس على الله﴾	٤٣
﴿لقد تاب الله على النبي﴾	٦٧
﴿لولا تستغفرون الله لعلكم تُرحمون﴾	٢١
﴿ليغفر لك الله ما تقدّم﴾	٢٨
﴿ماذا تعبدون أئفكاً﴾	٥٢
﴿ما كنت تدري ما الكتب﴾	٧٣
﴿ما منعك إذا رأيتهم ضلوا﴾	٣٦
﴿ملائكة غلاظ شداد﴾	٣٦
﴿هو أهل التقوى﴾	٧٠
﴿وإبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا﴾	٥٢
﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون﴾	٥٥
﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾	٥١
﴿واستغفر الله إن الله﴾	١٦

أول الآية	رقم الصفحة
﴿واستغفروا الله إن الله﴾	١٦، ٧٠
﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾	٤٩
﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾	٧٤
﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً﴾	٦٦
﴿والذين إذا أنفقوا لم يسَرفوا﴾	٨٣
﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾	١٩، ٧٦، ٩٦
﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾	٣٧
﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيّون﴾	٨٢
﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾	٨٤
﴿وكنتم على شفا حفرة﴾	٦٢
﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾	٤٧
﴿ولم يصرّوا على ما فعلوا﴾	١٨
﴿وله ما في السموات والأرض﴾	٧١
﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا﴾	٨١
﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾	٤٢

أول الآية	رقم الصفحة
﴿وما كان الله معذّبهم﴾	٢١
﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى﴾	٣٧
﴿وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً﴾	٣٩
﴿والمستغفرين بالأسحار﴾	١٩، ٧٠
﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى﴾	٧١
﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾	٧١
﴿ولا أعصي لك أمراً﴾	٣٦
﴿ويا قوم استغفروا ربكم﴾	٢١
﴿لا إلٰه إلا أنت سبحانك﴾	٨٠
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾	٥
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا﴾	٦
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾	٥
﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره﴾	٥٠
﴿يومئذ يودّ الذين كفروا﴾	٣٨

● ● ●

(٢)

فهرس الأحاديث والآثار

أول الحديث والأثر	رقم الصفحة
«إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»	٣٧
«استغفار بلا إقلاع توبة الكذّابين»	١٨
«اللهم أنت ربـي وأنا عبدك»	٧٩
«أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما قبله»	١٠٠
«إنّ أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي»	٣١
«إنّ كل عاصٍ فهو جاهل»	٥٦
«إنّ الله حجز التوبة»	٥٨
«إن لي لساناً ذرباً على أهلي»	٨٨

أول الحديث والأثر	رقم الصفحة
«إنّ النبـي ﷺ كان يستغفر عقب الصلاة ثلاثاً»	٧٠
«إنّ النبـي ﷺ كان يقول في استفتاحه»	٧٨
«إنه كان يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك»	٦٧
«إنه لم يعنِ هذا، وإنما أراد المبتدع»	٣٣
«إنه ليغان على قلبـي»	١٦
«إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»	٧١
«أنْ يتوب ثم لا يعود»	٩٧
«أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية»	١٠٠
«أين أنت من الاستغفار»	٨٨
«البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية»	٥٨
«سبحانك اللهم وبحمدك»	٦٧
«قل: اللهم إني ظلمت نفسي»	٧٨
«كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت»	٦٨
«كل من عصى الله فهو جاهل»	٥٦
«لكل عامل شرّة»	٣٢

أول الحديث والأثر	رقم الصفحة
«ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة»	٥٩
«ما أصرّ من استغفر»	٩٤
«ما من رجل يذنب ذنباً»	١٩
«مَنْ أحسن في الإسلام لم يؤاخذ»	١٠٠
«مَنْ شرب الخمر ثم لم يتب»	٩٧
«مَنْ همّ بحسنة فعملها»	٧٤
«نعم، دعاة على أبواب جهنم»	٤٥
«نعيت إليه نفسه»	٢٠
«والله إني لأستغفر الله»	٢٠
«والذي نفسي بيده لـو لم تذنبوا»	١٦
«ومن أساء في الأول»	١٠١
«لا كبيرة مع الاستغفار»	٩٥
«يا رسول الله إنا كنا في جاهلية»	٤٥
«يا رسول الله علمني دعاء»	٧٨

● ● ●

(٣)

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣ ـ الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٤ ـ الاعتقاد، للإمام البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٥ ـ اعتقادات فرق المسلمين، للرازي، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦ ـ اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٧ ـ الأمالي، للمحاملي، تحقيق إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، المكتبة الإسلامية ـ عمان، ودار ابن القيم ـ الدمام.

٨ ـ بحر العلوم، للسمرقندي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود وزكريا النوتي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩ ــ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
١٠ ــ التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، عالم الكتب ــ بيروت.
١١ ــ التبيين لأسماء المدلسين، لسبط ابن العجمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي ــ مخطوط ــ.
١٢ ــ تحفة الأبرار بشرح حديث سيد الاستغفار، تأليف فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة الريان ــ بيروت.
١٣ ــ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة ــ بيروت.
١٤ ــ تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة ــ بيروت.
١٥ ــ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي، تحقيق يمان المياديني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع.

١٦ ـ التوحيد، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٧ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٨ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٩ ـ جزء تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن أبي نعيم، للحافظ أبي نعيم، تحقيق عبد الله الجديع، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار العاصمة ـ الرياض.

٢٠ ـ الحلية، لأبي نعيم، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢١ ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٢ ـ الدر المنثور، للسيوطي، دار المعرفة ـ بيروت.

٢٣ ـ الدعاء، للطبراني، تحقيق محمد البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٢٤ ـ الدعاء، للمحاملي، تحقيق سعيد القزقي، الطبعة الأولى ١٩٩٢، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت.

٢٥ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦ ـ ذكر مذاهب الفرق، لعبد الله اليافعي، تحقيق موسى الدويش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار البخاري ـ المدينة المنورة.

٢٧ ـ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢٨ ـ الزهد، لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٩ ـ السنّة، لابن أبي عاصم، تحقيق الشيخ الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٣٠ ـ سنن البيهقي، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ، دار المعرفة ـ بيروت.

٣١ ـ سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وعبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٢ ـ سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله اليماني، دار المحاسن للطباعة ـ القاهرة، طبعة سنة ١٣٨٦هـ.

٣٣ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٤ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ـ بيروت.

٣٥ ـ السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٦ ـ سنن ابن ماجه، تجقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٧ ـ الشذرة في الأحاديث المشتهرة، لابن طولون، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٨ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، الطبعة الأولى، دار طيبة ـ الرياض.

٣٩ ـ شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٤٠ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد زغلول، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤١ ـ صحيح البخاري ـ انظر فتح الباري.

٤٢ ـ صحيح ابن حبان ـ انظر الإحسان.

٤٣ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٤٤ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر إدارات البحوث العلمية ـ الرياض.

٤٥ ـ العلل، لابن أبي حاتم، تحقيق محب الدين الخطيب، طبعة سنة ١٤٠٥هـ، دار المعرفة ـ بيروت.

٤٦ ـ عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق فاروق حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٤٧ ــ الغماز على اللماز، للسمهودي، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٤٨ ــ فتح الباري، للحافظ ابْن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٤٩ ــ الفردوس، للديلَمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي والمعتصم البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٥٠ ــ الفَرق بين الفِرق، للبغدادي، دار الجيل ــ بيروت.

٥١ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ، دار المعرفة ــ بيروت.

٥٢ ــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٥٣ ــ لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر ــ بيروت.
٥٤ ــ لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، المكتب الإسلامي ــ بيروت.
٥٥ ــ مجمع الزوائد، للهيثمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي ــ بيروت.
٥٦ ــ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن قاسم وابنه محمد، نشر الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٥٧ ــ مختصر قيام الليل، لابن نصر المروزي، تحقيق إبراهيم العلي ومحمد أبو صعليك، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة المنار ــ الأردن.
٥٨ ــ المستدرك، للحاكم، دار الكتاب العربي ــ بيروت.
٥٩ ــ مسند الإمام أحمد، دار الفكر ــ بيروت.
٦٠ ــ مسند أبي بكر الصديق، للمروزي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي ــ بيروت.

٦١ ـ مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٢ ـ مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٣ ـ مسند الطيالسي، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٤ ـ مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٥ ـ المصنف، لابن أبي شيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار التاج ـ بيروت.

٦٦ ـ المصنف، لعبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٦٧ ـ معالم السنن، للخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨ ــ المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة.

٦٩ ــ المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٧٠ ــ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، دار الحياة ــ القاهرة.

٧١ ــ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٧٢ ــ المنتخب من المسند، لعبد بن حميد، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة السنّة ــ القاهرة.

٧٣ ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة ــ بيروت.

• • •

(٤)

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة موجزة لشيخ الإسلام	٩
الاستغفار ــ تعريفه ومكانته	١٣
تعريف الاستغفار	١٥
أهميته ومكانته	١٥
شروط الاستغفار	١٧
١ ــ إخلاص القلب لله وحضوره مع الكلمات	١٧
٢ ــ عدم الإصرار على الذنوب	١٧

الموضوع	رقم الصفحة
٣ ـ التصديق بالجنـان، واليقين بالثواب . . .	١٨
٤ ـ الإقبال على فعل الحسنات والطاعات . .	١٨
آداب الاستغفار	١٨
١ ـ الطهور	١٩
٢ ـ اختيار أفضل الأوقات	١٩
٣ ـ الإكثار من الاستغفار	٢٠
٤ ـ أن يجعل الاستغفار في خواتم الأمور . .	٢٠
ثمرات الاستغفار	٢١
١ ـ غفران الذنوب	٢١
٢ ـ رضى الله ومحبته	٢١
٣ ـ رحمة الله	٢١
٤ ـ رفع العذاب	٢١
٥ ـ الخير الكثير والبركة	٢١
٦ ـ جلاء القلوب	٢٢

الموضوع	رقم الصفحة

٧ ــ الاستغفار حاجة العبد الدائمة ٢٢

٨ ــ الحلم والأناة، وبيان النطق ٢٣

٩ ــ كثرة العبادة والزهد في الدنيا ٢٣

نص رسالة الاستغفار لشيخ الإسلام ابن تيمية

ــ رحمه الله تعالى ــ ٢٥

المقدمة ٢٧

فصل في أنّ التوبة والاستغفار يكون من ترك

الواجبات وفعل المحرمات ٢٨

خفاء هذا على كثير من الناس ٢٨

جنس ترك الواجب أعظم من جنس فعل

المحرمات ٢٩

الناس نوعان: طلاب دين وطلاب دنيا ٣١

تفسير الحسن البصري لحديث:

«لكل عامل شرّة» ٣٢

كل نهي فيه طلب واستدعاء ٣٥

الموضوع | رقم الصفحة

من ركب ما نهى الله عنه فقد خالف أمره . . . ٣٦

المعصية مخالفة الأمر، ومخالف النهي عاص ٣٨

فصل: الاستغفار والتوبة من الفعل والترك ٣٩

الرد على من قال: لا يكون الأمر قبيحاً

إلّا بالنهي ٤٣

أقوال الناس في الشرك والظلم والكذب ٤٤

قول عامّة السلف في هذه المسألة ٤٥

فصل: إخبار الله عن قبح أعمال الكفار قبل

مجيء الرسول إليهم ٤٦

فصل: أمر الله الناس أن يتوبوا مما فعلوه ٤٨

لا يعاقب اللَّهُ إلا بعد إقامة الحجة ٤٨

قبح الشرك، وحسن التوحيد ثابت في النفس . ٥٣

إن كل عاص فهو جاهل ٥٦

التوبة تكون مما لم يكن علم أنه ذنب ٥٧

الموضوع	رقم الصفحة
البدعة أحب إلى إبليس من المعصية	٥٨
غلط من قال: لا تقبل توبة مبتدع مطلقاً	٥٩
معنى قولهم: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة	٦٠
معنى قبح السيئات، وإن لم يعاقب عليها . . .	٦٢
من أنواع العقوبة: حرمان الخير	٦٣
تنازع الناس في الوجوب والتحريم، هل يتحقّق بدون العقاب على الترك	٦٤
العقاب نوعان	٦٤
توبة الإنسان من حسناته على أوجه	٦٥
تخليص الأعمال مما يفسدها أشد على العاملين من طول الاجتهاد	٦٦
حاجة الناس الدائمة إلى التوبة	٦٦
التوبة غاية كلّ مؤمن	٦٦
أمر الله نبيه ﷺ أن يختم عمله بالتسبيح والحمد	٦٩

الموضوع	رقم الصفحة

جمع الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع ٧٢

فصل: في ما يستغفر ويتاب منه ٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ ٧٦

ظلم النفس عام يتناول كل ذنب ٧٨

إنّ الذنوب اسم جنس ٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيّون كثير﴾ ٨٢

الاستغفار حاجة دائمة للعبد ٨٥

الاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ٨٦

إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة ٨٧

التوبة من أعظم الحسنات ٨٨

التوحيد والاستغفار شفاء ٨٨

الموضوع	رقم الصفحة

الاستغفار بالقلب واللسان ٩٤

تنازع العلماء في التائب من الكفر، إذا ارتدّ بعد إسلامه ٩٦

سئل عن اليهودي أو النصراني إذا أسلم، هل يبقى عليه ذنب بعد الإسلام ٩٩

معنى قوله ﷺ: «من أحسن في الإسلام» . ١٠٠

معنى قوله ﷺ: «ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر» ١٠١

معنى قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا..﴾ ١٠٢

خاتمة التحقيق ١٠٣

(١) فهرس الآيات القرآنية ١٠٧

(٢) فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ١١٣

(٣) فهرس المصادر والمراجع ١١٦

(٤) فهرس الموضوعات ١٢٨

صدر حديثاً

رسالة

في أصول الدين

تأليف

شيخ الإسلام، ومفتي الأنام

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

(٦٦١-٧٢٨هـ)

اعتنى بها

خالد بن عبد اللطيف السبع العلمي